مشروع تحديات الانتقال في سوريا

ورقة مناقشة (١٢)

هل يختلف "الوضع الطبيعي الجديد" في إدلب عن "الوضع الطبيعي القديم"؟: كيفية تأثير جائحة كوفيد-١٩ على إدلب

سرهات إركمن، أكاديمية قوات الدرك وخفر السواحل التركية

مركز جنيف للسياسات الأمنية

مركز جنيف للسياسات الأمنية هو مؤسسة دولية تأسست في عام ١٩٩٥، بعدد أعضاء قدره ٥١ دولة، لغرض رئيسي هو تعزيز السلام والأمن والتعاون الدولي عن طريق تعليم المهارات التنفيذية وبحوث السياسات التطبيقية والحوار. يتولى مركز جنيف للسياسات الأمنية تدريب المسؤولين الحكوميين الدبلوماسيين، الضباط العسكريين، موظفي الخدمة المدنية الدولية، موظفي المنظمات غير الحكومية، القطاع الخاص في المجالات ذات الصلة بالسلام، والأمن الدوليين.

مشروع تحديات الانتقال في سوريا

مشروع متعدد الأطراف للحوار والبحث يهدف إلى بناء الجسور بين الاتحاد الأوروبي وروسيا وتركيا والولايات المتحدة بشأن قضايا ثلاث، هي: الإصلاح، عودة اللاجئين، وإعادة الإعمار. يدير المشروع مركز جنيف للسياسات الأمنية بالتعاون مع معهد الجامعة الأوروبية والمركز السوري لبحوث السياسات والمؤسسة السويسرية للسلام "سويس بيس".

المحررون:

عبد الله إبراهيم، باحث رئيسي في المشروع

لورين تشارلز، باحث مشارك

تامر بدوي، باحث مساعد

المؤلف

سرهات إركمن

تركز الأبحاث التي يجريها سرهات إركمن في المقام الأول على العراق وسوريا، حيث تتناول الجماعات الجهادية والمقاتلين الإرهابيين الأجانب. وهو حاليا أستاذ مساعد في إدارة الأمن الدولي ومكافحة الإرهاب بأكاديمية قوات الدرك وخفر السواحل في تركيا. وفي السابق، كان إركمن زميلا باحثا في مركز الدراسات الاستراتيجية الأوروبية - الآسيوية كما كان أحد كبار الباحثين لدى مركز دراسات الشرق الأوسط ورئيس مكتب الشرق الأوسط وأفريقيا في معهد تركيا للقرن ٢١. وقد أجرى الدكتور إركمن بحوثا مستفيضة في العراق وسوريا حول الوضع الأمني والسياسة الإقليمية/ المحلية والديناميات الاجتماعية تحت إشراف وزارة الخارجية التركية وغيرها من المؤسسات. وقد حصل إركمن على درجة الدكتوراه من معهد العلوم الاجتماعية بجامعة أنقرة.

الأفكار المعبر عنها تخص المؤلف وحده ولا تخص الناشر.

نشرت في يونيو/ حزيران ٢٠٢٠

جميع الحقوق محفوظة لمركز جنيف للسياسات الأمنية

كيف عملت هيئة تحرير الشام وغيرها من الجماعات المسلحة في "الوضع الطبيعي الجديد"؟

التدابير التي اتخذتها الإدارة والسكان لمكافحة فيروس كوفيد-١٩ في إدلب ليست كافية. ورغم أن السلطات الصحية المحلية تدرك المخاطر، فإنها تفتقر إلى القدرة على التأثير على صانعي القرار السياسيين والعسكريين. ولذلك، لم يكن لفيروس كوفيد-١٩ تأثير كبير على الحياة اليومية للسكان وعلى تدريب الجماعات العسكرية. ولا يزال الناس يجتمعون في الأماكن المفتوحة ويعقدون جلسات مغلقة؛ والأسواق مكتظة بالناس ودون تدابير حماية كافية؛ والمساجد تغص بالمصلين خلال شهر رمضان؛ والاحتفالات تجري كما هو معتاد. ومع هيمنة التصعيد والديناميات السياسية/ الاجتماعية الجديدة على جدول أعمال إدلب الحالي بعد اتفاق موسكو، فإن جائحة كوفيد-١٩ لا تمثل أولوية بالنسبة إلى الجهات الفاعلة في الميدان. وتهدف هذه المساهمة إلى دراسة أنشطة هيئة تحرير الشام في سياق الجائحة.

إعادة تنظيم الإدارة واقتصاد إدلب

في مارس/ آذار وأبريل/ نيسان ٢٠٢٠، دفع تطوران رئيسيان هيئة تحرير الشام إلى التماس حلول عملية وفورية للوضع الاقتصادي القائم في إدلب. وقد تسبب فقدان السيطرة على الطريق السريع إم ٥ في خسائر فادحة في الدخل بالنسبة إلى هيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ السورية، حيث استفاد كلاهما من هذا الطريق التجاري الذي يدر ربحا.[١] وإلى جانب فقدان الطريق السريع إم ٥، استولت القوات الحكومية السورية أيضا على بلدات بالغة الأهمية مثل معرة النعمان وسراقب مما تسبب في تدهور الوضع المالي للحكومة المحلية التابعة لهيئة تحرير الشام. وقد فر معظم من كانوا يعيشون في هذه المدن إلى الشمال السوري. وتسبب النزوح الداخلي من بلدة إلى أخرى في زيادة أسعار الأغذية والإيجارات وتكلفة الخدمات. كما أغلقت تركيا معبر باب الهوى الحدودي لوقف انتشار فيروس كوفيد-١٩، مما حال دون تلقي إدلب للسلع والمساعدات الدولية. كما أسفر انخفاض قيمة الليرة السورية مقابل العملات الدولية عن صعود التضخم وأحدث شعورا من الاستياء بين سكان إدلب. وهذا يعني أن العثور على السلع الأساسية أصبح أكثر صعوبة وأعلى تكلفة. ولذلك، اضطرت هيئة تحرير الشام إلى فتح بوابة تجارية مع المناطق التي تسيطر عليها الحكومة في حلب،[٢] فضلا عن تسعير السلع بالليرة التركية أو الدولار الأمريكي. وانتاب السكان المحليون، في العديد من الأماكن، حالة من السخط إزاء أداء الإدارة المحلية وقدرة هيئة تحرير الشام المحدودة على معالجة المشاكل الاقتصادية.

تفادي عودة جماعات الجبهة الوطنية للتحرير في إدلب

ستكون الطامة الأكبر بالنسبة إلى هيئة تحرير الشام فقدان سيطرتها على إدلب، إذ أن الحفاظ على قبضتها محكمة يعد مهمة شاقة. ولم يكن الخصم الأبرز هو حكومة الأسد ولا تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، بل جماعات المعارضة المسلحة الأخرى. وأظهرت الصراعات التي جرت في عام ٢٠١٩ أنه بدون مساعدة الجماعات المسلحة المعتدلة وموقف تركيا الحازم ضد دمشق، كان من المستحيل لهيئة تحرير الشام مقاومة الجيش السوري وحلفائه. وبعبارة أخرى، تداعت الرواية القائلة بأن "هيئة تحرير الشام الفصيل الأقوى والقوة الوحيدة القادرة على قتال النظام السوري". وقد تجلى ذلك على وجه التحديد لأن الجيش التركي هو الذي أوقف الجيش السوري والميليشيات الموالية له وليس الجماعات المسلحة المحلية. وقد نشرت تركيا المزيد من القوات لبناء "إدلب جديدة" وفقا لأولوياتها الاستراتيجية والتكتيكية. وأسفر ذلك عن عودة العديد من الجماعات المعتدلة التي أرسلتها هيئة تحرير الشام إلى "المنفى" بعد

---

[١] تشارلز ليستر، هل إدلب مهيأة للنزاع الداخلي؟ معهد الشرق الأوسط، ١ مايو/ أيار ٢٠٢٠ (جرى الاطلاع عليه في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٢٠). https://www.mei.edu/publications/idlib-set-internal-strife

[٢] السوريون في إدلب يحتجون على إقامة صلة تجارية مع النظام، وكالة فرانس برس، ٢ مايو/ أيار ٢٠٢٠ (جرى الاطلاع عليه في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٢٠). https://english.alaraby.co.uk/english/news/2020/5/1/idlib-residents-protest-opening-of-trade-link-with-regime

معارك كثيرة.[٣] كما أن الجماعات الأخرى التي فقدت نفوذها قد اكتسبت السلطة لأن تركيا رفضت العمل مع المؤسسات الموالية لهيئة تحرير الشام. والجماعات الموجودة في "المنفى" هي جماعات الجبهة الوطنية للتحرير التي أصبحت جزءا من الجيش الوطني السوري. وقد أظهرت هيئة تحرير الشام علنا عدم رغبتها في الترحيب بهذه الجماعات في إدلب ووضعت هذه المسألة على رأس جدول أعمالها.

إشراك بعض العناصر داخل هيئة تحرير الشام

واجهت هيئة تحرير الشام معضلة على مدى العامين الماضيين. فقد زعمت أنها لم تعد تدين بالولاء لتنظيم القاعدة وأصبحت أكثر اعتدالا. وقد أدى ذلك إلى انشقاق العديد من الجماعات؛ أصبح بعضها مستقلا وانضم البعض الآخر إلى تنظيم حراس الدين. ومع ذلك، فإن مزاعم هيئة تحرير الشام بأنها أصبحت أكثر اعتدالا لم تقنع سوريا ولا المجتمع الدولي. وكما تزعم هيئة تحرير الشام أنها أصبحت أكثر اعتدالا وأنها تخلصت من العناصر المتطرفة، فإن السيطرة على بعض حلفائها الذين لديهم علاقات متأصلة مع تنظيم القاعدة أصبحت أكثر صعوبة. وقد هددت العديد من الجماعات الصغيرة المؤلفة من بضع مئات من المسلحين بمغادرة هيئة تحرير الشام بعد خسارتها معركتين. وانضم بعض هؤلاء إلى تنظيم حراس الدين وبقي آخرون مستقلين ولكن معارضين لهيئة تحرير الشام. وفي هذه الفترة الانتقالية، احتاج أبو محمد الجولاني إلى أكبر عدد ممكن من الحلفاء. ولا تحاول هيئة تحرير الشام أن تسيطر على مجموعات أخرى في إدلب فحسب، بل تسعى أيضا إلى السيطرة على أنشطتها الخاصة.

هيئة تحرير الشام تلعب دور الشرطي الصالح في مواجهة الجماعات المتطرفة

هيئة تحرير الشام لا فقط تشعر بالقلق إزاء أنشطة الجيش الوطني السوري، ولكن أيضا عمليات "وحرض المؤمنين" . وتتألف غرفة عمليات وحرض المؤمنين من جماعات تنظيم حراس الدين وأنصار التوحيد وأنصار الإسلام وأنصار الدين،[٤] وهي منظمات متطرفة متجذرة في تنظيم القاعدة. وهيئة تحرير الشام لديها علاقة معقدة مع هذه الجماعات. فمن ناحية، هم منافسون وتسببوا في مشاكل لهيئة تحرير الشام. وفي بعض الأحيان، يهاجمون قوات الحكومة السورية والمواقع الروسية بالقرب من إدلب. كما شنوا بضع هجمات ضد القوات التركية التي تسير دوريات على الطريق السريع إم ٤. وتريد هيئة تحرير الشام استخدام هذه العناصر الحمراء وسيلة للضغط على تركيا والمجتمع الدولي. وبالنسبة إلى هيئة تحرير الشام، فإنها تزعم، بالإشارة إلى أن هذه الجماعات متطرفة، أنها الجهة الفاعلة الوحيدة التي يمكن أن تتعامل مع "مثيري الشغب" هؤلاء.

ويبدو أن هيئة تحرير الشام تلعب دور الشرطي الصالح-الشرطي السيء. ومع ذلك، ليس لدى هيئة تحرير الشام، في واقع الأمر، أي سيطرة على هذه الجماعات. وإذا ما بدأت عملية جديدة، فإن السكان المحليين سيساندون هذه الجماعات لأنها كانت ضد وقف إطلاق النار. وقد تسببت هجماتهم ضد القوات التركية في معضلة بالنسبة إلى هيئة تحرير الشام. وتعارض الأخيرة الدوريات التركية، لكنها لا تريد التورط في صراع مع تركيا. ولذلك، تحاول الهيئة التلاعب بالجماعات المسلحة الأخرى.

---

[٣] إنجين يوكسل، استراتيجيات الحرب بالوكالة التركية في شمال سوريا: العودة للانتقام، معهد كلينجندايل، نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٩ (جرى الاطلاع عليه في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٢٠)، ٩.
https://www.clingendael.org/pub/2019/strategies-of-turkish-proxy-warfare-in-northern-syria/3-turkey-and-the-armed-syrian-opposition-salafi-jihadist-groups/

[٤] كاليب فايس وجو تروزمان، عمليات وحرض المؤمنين تواصل محاربة نظام الأسد في جنوب إدلب، ذا لونج وار جورنال، ٢٧ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٠ (جرى الاطلاع عليه في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٢٠).
https://www.longwarjournal.org/archives/2020/01/incite-the-believers-continue-to-fight-assad-regime-in-southern-idlib.php

١ - تنظيم احتجاجات ضد الاتفاق التركي الروسي

لا تشعر هيئة تحرير الشام بالارتياح إزاء الدوريات التركية الروسية على الطريق السريع إم ٤ لأسباب اقتصادية، وقد نظمت العديد من الاحتجاجات ضد هذه الدوريات. وقد يؤدي فقدان الطريق السريع إلى انهيار اقتصادي للهيئة.[٥] وعلاوة على ذلك، العديد من البلدات والقرى الواقعة على الطريق السريع إم ٤ هي معاقل تابعة لهيئة تحرير الشام. وفي حالة تنفيذ الاتفاق بين موسكو وأنقرة، فستضطر هيئة تحرير الشام إلى مغادرة هذه البلدات وستفقد سيطرتها في جنوب إدلب.

٢ - تجهيز قواتها للمعارك القصيرة والطويلة الأجل

واصلت الأكاديميات العسكرية التابعة لهيئة تحرير الشام تدريب المقاتلين. وبينما قد يكون لفيروس كوفيد-١٩ تأثير على الأنشطة العسكرية في أماكن أخرى، إلا أن هذا لا ينطبق على إدلب. وقد أخرجت هيئة تحرير الشام مقاتلين في الشهرين الماضيين أكثر من أي وقت مضى.

أولويات وتدابير تركيا

اتخذت تركيا العديد من الاجراءات لمكافحة انتشار فيروس كوفيد-١٩ بين قواتها. ولا تختلف هذه الإجراءات عن تلك التي اتخذتها الجيوش الأخرى حول العالم. وتمثلت التدابير الرئيسية التي اتخذتها القوات المسلحة التركية في ارتداء الأقنعة، والحد من وصول السكان المحليين إلى المجمعات العسكرية، وزيادة النظافة العامة في البعثات والمواقع العسكرية، ونشر المزيد من الكبائن للسماح بالتباعد الاجتماعي. ومع ذلك، لم تحل هذه الإجراءات دون التوسع العسكري التركي في إدلب. فقد بنت تركيا ما لا يقل عن ١٨ موقعا عسكريا جديدا بعد ٥ مارس/ آذار (وفقا لمعلومات مستقاة من المصادر المفتوحة). وعلاوة على ذلك، نشرت تركيا مئات الجنود الجدد في قواعد ومراكز عسكرية مختلفة. وتنظيم هذه القواعد والمراكز والقوات ومواقعها وقدراتها يظهر أن القدرات العسكرية الحالية لتركيا أكبر بكثير مما كانت عليه في الفترة السابقة لشهر فبراير/ شباط ٢٠٢٠. وقد بنت تركيا ١٢ نقطة مراقبة عسكرية في إطار اتفاق سوتشي قبل العملية الثانية للجيش السوري.[٦] وبعد الهجوم الأخير للجيش السوري، زادت تركيا من قدرتها على ردع جميع الهجمات العسكرية.

وفي الوقت الحالي، يمكن تلخيص أولويات تركيا على النحو التالي: ١) الحيلولة دون حدوث تصعيد جديد تتسبب فيه الحكومة السورية وهيئة تحرير الشام؛ ٢) بناء مناطق "آمنة ومؤمنة" لاستيعاب المدنيين؛ ٣) اتخاذ تدابير لوقف تدفق الأشخاص المشردين داخليا إلى تركيا وغيرها من المناطق التي تسيطر عليها الجماعات المدعومة من تركيا في سوريا؛ ٤) تنفيذ الاتفاق الذي جرى التوصل إليه مع روسيا.

لذلك، يمكن وصف الوجود التركي في إدلب بأنه سيف ذو حدين. فهو يهدف من ناحية إلى منع أي هجوم من جانب الجيش السوري. ومن الناحية الأخرى، فإنه يعمل ضد الجماعات المسلحة أو المنظمات الإرهابية التي يمكن أن تؤجج الصراع في إدلب. فعلى المدى القصير، تركز تركيا على تسيير دوريات عسكرية على الطريق السريع إم ٤ وتتعاون مع روسيا للحيلولة دون حدوث هجوم آخر. وعلى المدى الطويل، قد تضطر تركيا إلى تنظيم منطقة يمكن أن ينعم فيها اللاجئون السوريون والأشخاص المشردون داخليا الذين لا يستطيعون العيش في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة بالأمان. وتركيا لديها العديد من المنافسين

---

[٥] فهيم تشتكين، الطفرة الربحية غير المقدسة للجماعات الجهادية في سوريا، المونيتور، ١٥ مايو/ أيار ٢٠٢٠ (جرى الاطلاع عليه في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٢٠):
https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2020/05/turkey-syria-hayat-tahrir-al-sham-idlib-profit-motive-rebels-hts.html

[٦] أحمد البرعي، هل سيتمخض اتفاق سوتشي ٢,٠ عن حل دائم في ادلب؟ صحيفة دايلي صباح، ١٢ مارس/ آذار ٢٠٢٠ (جرى الاطلاع عليه في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٢٠).
https://www.dailysabah.com/opinion/op-ed/will-sochi-20-produce-a-lasting-solution-in-idlib

في هذه المهمة؛ فليس فقط حكومة الأسد والمجموعات شبه العسكرية المرتبطة بها تعارض هذه الخطة، إنما أيضا تعارضها المنظمات الإرهابية الموجودة في إدلب.

ولآن الحفاظ على سلامة إدلب مرهون بالتعاون التركي-الروسي، فإن جائحة كوفيد-١٩ ليس لها تأثير كبير على تعامل تركيا مع قضية إدلب. ولذلك، يصر البلدان على استمرار تسيير الدوريات رغم المشاكل التي تواجهها.

هل يمكن أن يكون وقف إطلاق النار مستداما؟

يستند وقف إطلاق النار إلى التعاون التركي الروسي. بيد أن هذا أمر معقد للغاية. ويمكن تلخيص العوامل التي يمكن أن تؤثر على وقف إطلاق النار على النحو التالي:

١) العوامل المحلية: قد تلعب الديناميات داخل إدلب دورا في إدامة وقف إطلاق النار. ولكن نظرا لأن هيئة تحرير الشام تشعر بفقدانها السيطرة، فإنها ستسمح للجماعات غير الراضية عن وقف إطلاق النار بزيادة أنشطتها.

٢) الاخفاق في الحفاظ على الطريق السريع إم ٤: كان السبب الرئيسي لنشوب الصراعات في عام ٢٠١٩ هو فشل اتفاق سوتشي. وإذا فشل الحل الحالي بشأن الطريق السريع إم ٤، فمن المرجح جدا أن تكون هناك جولة أخرى من الصراع في إدلب.

٣) خيبة أمل تركيا في شرق الفرات: تلتقي تركيا وروسيا في العديد من المناطق في سوريا. فهناك عملية مستمرة في شرق الفرات تهدف إلى جلب حزب الاتحاد الديموقراطي إلى طاولة المفاوضات بصورة مشروعة. والجهود التي توحد المجلس الوطني الكردي في سوريا وحزب الاتحاد الديمقراطي في كيان جديدة ستخيب آمال تركيا. وإذا شعرت تركيا بالخيانة نتيجة إدماج حزب الاتحاد الديمقراطي في أي تسوية سياسية سورية، فقد تخرب العملية من شرق الفرات إلى إدلب.

٤) الصراعات على السلطة في الدائرة المقربة للحكومة السورية: نظرا لتزايد الصراعات على السلطة في حكومة الأسد، تنخفض قدرة الجيش السوري على شن عملية أخرى على إدلب.

٥) ليبيا: تركيا وروسيا لديهما وجهات نظر مختلفة حول العديد من القضايا في السياسة الدولية. وحتى الآن، لم تمنع هذه الخلافات البلدين من التعاون في سوريا. ومع ذلك، أصبحت نقاط الخلاف بين الجانبين في سوريا وليبيا أكثر تشابكا. وإذا عارضت روسيا وتركيا بعضهما البعض بشأن ليبيا، فإن ذلك قد يغذي أيضا خلافاتهما في سوريا.